عظة أحد الفريسي والعشار
في كنيسة القديس نيقولاوس
في ٢٤ شباط ٢٠٠٢

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

أيها الأحبة، اليوم ندخل في فترة التهيئة لزمن الصوم المبارك. ندخل في زمن نتهيأ فيه لكي إذا وصلنا إلى زمن الجهاد الحقيقي، نكوم قد جعلنا الحرارة في قلوبنا والتوبة بين ضلوعنا وأصبحنا قادرين بعد تكرين لنكون في صوم حقيقي، مدعوم بالصلاة الحقيقية. اليوم، هو أحد الفريسي والعشار. الأحد القادم، أحد ابن الشاطر. الأحد الثالث، أحد مرفع اللحم وبعدئذ نأتي إلى الأحد الأخير من هذه الفترة التي فيها نتهيأ، أحد مرفع الجبن. بعد أحد مرفع اللحم والجبن لا نأكل شيئا نسميه زفر.

اليوم تعلمنا الكنيسة، بأن الإنسان قطع علاقته مع الله وعليه أن يقيم العلاقة، أن يستعيدها من جديد. لأن وجود الإنسان، قيمة الإنسان ومعناه هي بعلاقته بالله، في وحدته بالله. الإنسان إنسان لأن الله فيه، لأن الإنسان خُلِقَ على صورة الله ومثاله. فالكنيسة تدخلنا في وقت يتكثّف فيه الجهاد، أثناء السنة نتعب ونجاهد ونصوم ولكننا ندخل اليوم في درس مكثّف، لكي نعيد معوجّة فينا إلى استقامته الأصلية.فالأمر الأساس، القاعدة المهمة في كل حياتنا، أو عليها نبني حياتنا هي الصلاة.

والصلاة هي الحديث مع الله. بشكل أعمق وأوضح هي أن أضع قلبي وذهبي وفكري أمام الله. أتمرّن في هذه الفترة كيف أسكب تنهدي أمام الله. كيف أثق أمامه في كل حين، أي أتمرن حتى بالله. المؤمن وهو يتحدث، وهو يشتغل، وهو يتحرك، وهو يدرس، وهو ينام، قلبه ينبض باسم الله. فاليوم، في هذا الأحد، تعلمنا الكنيسة كيف نصلي. هذا المقطع، الإنجيلي فيه رجلان. رجل اتبع الشريعة والناموس وفعل بمقتضاها أي الشريعة، صام. كان الفريسي يصوم الإثنين والخميس وكان يصوم لكي يزداد تقىً، لكي يتفرّغ لله.

لكن هناك إنسان آخر، إنسان خاطئ،يأخذ أكثر مما يجب، كان جابي. إنسان خاطئ، والفريسي الذي كان يصلي ويصوم، ويقدّم عشر ماله للفقراء أو للهيكل. كان يصلي أيضاً، ولكنه هذا الإنسان الذي قام بكل ما تطلبه الشريعة، كان يرفض أن يقترب من العشار، من الخاطئ. كان يبتعد عنه، يرذله، يرفض حضوره، لا يقترب منه لألا يتدنس، أي لكي لا يعاشر الخطأة.

حسنٌ أن يقوم الإنسان بكل ما تطلب منه الكنيسة، وحسنٌ أن لا يعاشر الخطأة لألا يتلوّث بخطيئتهم. ولكن لا يُسمح لنا أن ندين أحداً وأن نقول بأنه مرفوض من صلواتنا ومرفوض من الله. قاما إلى الهيكل ليصليا. وكان عند اليهود، عندما تتجه نحو الهيكل، تتذكر الصلاة وتصلي وتكون صلاتك مقبولة. إذا اتجهت نحو الهيكل كما آخرون يتجهون إلى مكان آخر.

ذهب الفريسي إلى الهيكل، ووقف يصلي، ولكن في الإنجيل يقول، يصلي في نفسه. عندما تكلم لوقا الإنجيلي عن العشار، قال لم يُرِد أن يرفع عينيه إلى السماء، لأن عيني المؤمن لا تنظر إلى النفس، بل إلى الله. الفريسي وقف يصلي ويقول: أشكرك لأني لست كسائر الناس الخطفة، الظالمين، الفاسقين، ولا مثل هذا العشار. هذا الإنسان لا يصلي. عينا هذا الإنسان لا تنظر إلى الله أولاً، هي تنظر إلى شخص آخر، إذا لا تصلي.

هذا الفريسي يشكر الله بأنه أعطاه ليقوم بما يقوم، بشعائر دينية. هذا جيّد، لكنه لا يشكر النعمة لأن ما له هو الله أعطاه إياه. الفريسي دخل وهو عالم بأنه خاطئ، ووقف من بعيد بالهيكل، رافعاً رأسه، متكبراً، واضعاً كل حساباته أمام الله. هناك عشار معتّر، سارق وهو يدرك هذا، يعلم بأنه يُرتشى، ويأخذ من المال أكثر مما يستحق. دخل على الهيكل وهو متردداً، خائفاً من عدم قبوله من قِبَل الله. لكن عندما دخل، شعر بقبوله من قِبل الله، ولم يقترب من الفريسي حتى لا يزعجه.

الإنسان الذي يتوب، يصبح لطيفاً جداً. أي الإنسان الذي يترك خطيئته، يشعر بأنه أصبح من أصغر الناس، لا يستحق تسميته بشر. في البداية، هذا العشار كان غير مبالٍ، سارق، كاذب... عندما عاد إلى الله شعر بأنه كالنملة، لم يعد يسأل إذا كان الفريسي يحبه أولاً، لم يعد ينزعج أو ينجرح. وعي خطيئته، والخطيئة الذي يعيها الإنسان كأنه وضع برميل صابون وماء وغسّل حاله، يصير يرى نفسه كم هو نقي، بالأحرى يرى أن الله موجود فيه، يصبح الله نوره.

هذا الفريسين كان يفكر، عقله يشتغل، كم مرة صام، وأعطى المال للفقراء. عندما ندخل نحن إلى الكنيسة، ربما نتكلم على هذا الذي يعظ، وكيف يتكلم، بدل التسمع إلى لبّ الموضوع أي أنهم لا ينظروا إلى الله، أي لا يريدوا أن يروا بما يكلمهم الله وهم يكلموه. إذاً، أنا في كثير من الأحيان، أدخل الكنيسة، وإن كنت أريد أن أفعل جردة مع نفسي، الله يطلب منا أن نكون معه مئة في المئة، لا نفكر بعملنا، ببيتنا، حتى لا نفكر بأولادنا، نفكر فيهم بشكل واحد وهو يا رب ها أنذا والأولاد الذين أعطيتني، أريد رفعهم إليك. أنا آتية بهم من قلبي وفكري لأضعهم أمامك وأنت تهتم.

إذاً، لا يبقى عندي همّ عندما أدخل للكنيسة، ثم لا أعود أفكر إذا أعطيت أولاً. يقول بالإنجيل بشكل صوري، جميل جداً، رمزي، أنه أنت عندما تعطي، يدك الثانية، يدك أنت يجب أن لا تعرف. أنت تدق الجرس حتى يعلم جميع الناس. وكما نكرر دائماً، بأنه إذا لم يذكروك عشر مرات بأنك أعطيت المال، فيسبون الكنيسة. إذا لم يكتبوا اسمك، وإذا لم يتكلم المطران أو الكاهن عنك، فيسبون الكنيسة. هذا فريسي، لا يهمه الله، كل همه التمثال من مطاط ونظل ننفخ فيه. هذا دون ماله وخدمته أو أي شيء، لأن الله رأى فلس الأرملة أكثر من الملايين التي يضعوها. لأنها وضعت قلبها وهذا ما يريده الرب لا المال، فيعطي القلب كل أمواله.

المشكلة هي أننا لا يمكننا شراء الكنيسة. الفريسي هو من هذه النوعية. إذا صلّى يقول لربه بأنه صلّى، إذا صام كذلك الأمر. هو يصلي بنفسه، أما من منكم بلا خطيئة. كلنا خطأة. عندما نريد أن ندخل الكنيسة، اليوم بالأعراس يأتون نصف عريانين. نخجل أحيانا من النظر إلى العروس. من الجيد أن العريس ثيابه مختلفة عن العروس. أنتم تعرفون أن الموجودين في الكنيسة والأهل بماذا يكونوا مهتمين؟ كيف هي الزينة والفستان... أما الله فعلى حدى، باركهم أولاً، لا يهمهم. والموضة اليوم، هي التصفيق بالكنيسة وتقبيل العروس، سيقبلها كل السنين الباقية، ضروري في الكنيسة؟ لأي غرض هذا؟

انا اعتقد بأن المؤمن يخجل أمام الناس، لكن هؤلاء هم فلتانين وآتين ليتكللوا. إن كان هناك نوع من الحياء من قبل الناس والأهل، لا يصفقوا. ونحن نتمنى هذا، كما نتمنى هذا، كما نتمنى على الناس الحشمة. فالكنيسة ليست نادي للعراة، هناك أماكن خاصة لهؤلاء كما أنهم يسألون كذا مرة كم سيدفعون في الكنيسة، هل يسألون عن ثمن الأوتيل؟ أما العشار، آتي وهو مخجول من الله، يقول له: يا الله، ارحمني، أنا خاطئ. لهذا السبب، نحن في الكنيسة يسألوننا، لماذا نقول أربعين مرة يا رب ارحم، استجب يا رب، هذا حتى يتذكر الإنسان الغافي أنه ينسى أن يطلب رحمته، وعلى التكرار يتعلم الإنسان وغير الإنسان.

فالشيء الأساسي هو أنه عندما أجيء للكنيسة، أرى بعض الناس داخلين وكأنه ملعب، بعضلات، معرمة، لابسين الجينز. الله يقبلنا ونحن في المايوه. ولكن هل يذهب أحد في الجينز عند أي مسؤول أو على العرس. أنا بالصلاة أجدد عرس مع الله. الذي يأتي إلى الكنيسة غير مرتب أو نظيف، هذا الإنسان غير جدي، هو يعتقد بأنه إذا وضع في الصندوق كم قرش، يطوّل عمره ربنا. الله لا يريد هذه النوعية. إذاً يا أحبة، نحن مائتين بالخطيئة. أي عندما نبتعد عن الله، يصبح عملنا كل يوم أن نجعل أجسادنا المائتة حية بيسوع لأنه هو وحده يقيم الموتى، هو وحده يربطنا مع الله.

إذاً، تقول لنا الكنيسة اليوم بأننا داخلين في هذا الموسم حتى نتخصص بالصلاة، وتعود علاقتنا مع الله، علاقة قوية جداً جداً، نظل مشتاقين لله وأن لا نضجر منه، وذكره يظل في قلبنا وفكرنا وفي كل كياننا ونصير مثل هذا العشار الذي يخجل من النظر بأخيه. نحن نفكر كثيرا بأننا أفضل وأشطر من غيرنا، نفهم بالدين أكثر من غيرنا، نحن نعلم غيرنا. ربنا يضع لنا اليوم، الصورة الحقيقية للمؤمن، هو ذاك العشار التائب، الراجع إليه. إذا لم تكونوا مثله فأنتم فريسيين مهما علا قدركم وفهمكم وذكاءكم، إذا لم تصيرا معتّرين مثل هذا العشار فلا يمكنكم أن تكلموا الله، بهذا فأنتم تتكلمون مع نفسكم أو مع أمور كثيرة في هذه الدنيا وليس الله.

يا أحبة، الصوم إذا لم يرافق بالصلاة، وأقول يا ربي أنا أقدم لك صومي وحياتي، فما نفع الصوم. أنا حياتي كلها، كلامي، ذبيحة التسبيح أي صلاتكم، عندما تتغلبون على ضجركم وتعبكم حتى تصلوا بفرح هي ذبيحة يقبلها الله. فليجعلكم الله نفوس مصلين. إذا تمتمتم، لا لتتذمروا بل بكلام الله. الله يبارك هذه الفترة وفترات حياتنا جميعاً ويجعلكم من أبناءه وبناته الذين قدسهم بحضوره فيهم. أيضاً، صلوا لنا نحن أن تكون خدمتنا له خدمة حيّة، لا بالكلام وحسب بل بكل حركة وعمل نقوم فيه. آمين.